مفهوم الملكات وأهميتها في العمران البشري من خلال رؤية ابن خلدون

The Significance of Competencies in Human Association According to Ibn Khaldun

Kepentingan Kompetensi dalam Persatuan Manusia Berdasarkan Pendekatan Ibn Khaldun

أحمد البرعمي* وعبد العزيز برغوث**

الملخَّص

تعالج هذه الورقة أهميَّة الملكات في العمران البشري من خلال رؤية عبد الرحمن بن خلدون في مقدِّمته الشهيرة، ولما كان موضوع العمران البشري هو الإنجاز الكبير والإسهام المتميز الذي قدَّمه ابن خلدون للفكر الإسلامي، فقد لاقى اهتمامًا كبيرًا من قبل العلماء والمفكرين والباحثين؛ إذ درسوه من مختلف جوانبه وأبعاده وتطبيقاته المتعددة. وتأتي هذه الورقة لتكشف هذا الجانب المهم الخاص بموقع الملكات ووظيفتها في العمران والبناء الحضاري، ومن ثم تهدف إلى بيان تأطير ابن خلدون لهذا المفهوم وإدراجه ضمن منظومته الكليَّة المتكاملة للعمران البشري. وخلصت الورقة إلى أن مسألة الملكات تُعدُّ من أهم المفاهيم النَّاضجة التي طوَّرها ابن خلدون وربطها بموضوعات العمران البشري المتعددة، من التَّعليم والصِّناعة والسِّياسة والمعاش والاجتماع البشري والدِّين وغيرها، وتمكَّن من بيان ضرورتها والحاجة إليها ووظائفها في العمران. وتوصي الورقة بأهميَّة استمرار الدِّراسات المتخصصة في موقع الملكات وأهميَّتها في العمران البشري خاصَّة في مجالات الاقتصاد والتَّربية والتَّعليم والحكم والسِّياسة الشَّرعيَّة.

* باحث في مرحلة الماجستير بالمعهد العالمي للفكر الإسلامي والحضارة (استاك)، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

** أستاذ دكتور بقسم المعرفة الأساسية والدراسات البينية، كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية، وعميد المعهد العالمي للفكر الإسلامي والحضارة.

الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية

مجلة الإسلام في آسيا
المجلد 19، العدد 2، يونيو 2022
E-ISSN: 2289-8077
DOI: https://doi.org/10.31436/jia.v19i2.1124

الكلمات المفتاحية: الملكات، العمران البشري، رؤية ابن خلدون.

Abstract

This paper addresses the question of the importance of competencies (*malakat*) in human association in light of the vision of Abd al-Rahman ibn Khaldun in his famous *Introduction*. Since the subject of human association is the great achievement and outstanding contribution that Ibn Khaldun made to Islamic thought, it received great attention from scholars, thinkers, and researchers. They studied it from its various dimensions and multiple applications. This paper comes to shed light on this important aspect of the place of *malakat* and their function in human association and civilisation construction. Hence, the paper aims to show how Ibn Khaldun framed this concept and integrated it within his overall unified human association approach. The paper concluded that the concept of malakat, was one of the most important and mature concepts developed by Ibn Khaldun and linked to the various aspects of human association, such as education, learning and teaching, management and governance, industry, politics, economics, civilisation, religion and others. Ibn Khaldun was able to explain its necessity and the need for it and its functions in human association. The paper recommends the importance of continuing specialised studies on the place and function of malakat in human development, particularly in the fields of economy, education and learning, governance and legitimate politics.

Keywords: Human Association, *Malakat*, Ibn Khaldun Approach**.**

Abstrak

Makalah ini membicarakan persoalan tentang kepentingan kecekapan (malakat) dalam pergaulan manusia berdasarkan visi Abd al-Rahman ibn Khaldun dalam pengenalannya yang terkenal. Memandangkan subjek pergaulan manusia adalah pencapaian besar dan sumbangan cemerlang Ibn Khaldun kepada pemikiran Islam, ia mendapat perhatian yang besar daripada para sarjana, pemikir, dan penyelidik. Mereka mengkajinya dari pelbagai dimensi dan pelbagai aplikasi. Makalah ini memberi penerangan tentang aspek penting tempat kompetensi (malakat) dan fungsinya dalam pergaulan manusia dan pembinaan tamadun. Oleh itu, kertas kerja ini bertujuan untuk menunjukkan bagaimana Ibn Khaldun merangka konsep ini dan menyepadukannya dalam keseluruhan

pendekatan persatuan manusia bersatu beliau. Makalah tersebut merumuskan bahawa konsep malakat, merupakan salah satu konsep yang paling penting dan matang yang dikembangkan oleh Ibn Khaldun dan dikaitkan dengan pelbagai aspek pergaulan manusia, seperti pendidikan, pembelajaran dan pengajaran, pengurusan dan pemerintahan, industri, politik, ekonomi, peradaban, agama dan lain-lain. Ibn Khaldun dapat menjelaskan keperluannya dan keperluannya serta fungsinya dalam pergaulan manusia. Kertas kerja mengesyorkan kepentingan meneruskan kajian khusus mengenai tempat dan fungsi malakat dalam pembangunan insan, khususnya dalam bidang ekonomi, pendidikan dan pembelajaran, tadbir urus dan politik yang sah.

Kata Kunci: Persatuan Manusia, Kompetensi (*Malakat*), Pendekatan Ibn Khaldun.

المقدمة

يُعدُّ عبد الرحمن بن خلدون من كبار علماء الأمة الإسلاميَّة عندما يتعلَّق الأمر بدراسة التاريخ والحضارة من منظور حضاري مستحدث ومتكامل سمَّاه "علم العمران"، وعدَّه ابتكارًا خلدونيًّا بامتياز، يقول ابن خلدون: "وكأنَّ هذا علم مستقلٌّ بنفسه، فإنه ذو موضوع، وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني... واعلم أنَّ الكلام في هذا الغرض مستحدث الصَّنعة، غريب النَّزعة، عزيز الفائدة، أعثر عليه البحث، وأدى إليه الغوص[1]"، وهذا الذي شهد به العلماء والباحثون الذين اشتغلوا بموضوعات الحضارة والثَّقافة، وبالتَّاريخ وفلسفته، وبناء الدول وانحلالها، وقيام الحضارات وسقوطها، والسُّنن المتحكمة في الحضارة والعمران عامة. وبالنَّظر إلى "مقدِّمة" عبد الرحمن بن خلدون يستشفُّ الباحثون والدَّارسون سعة موضوعاتها والقضايا التي طرحها وناقشها نقاشًا معمقًا ومستفيضًا تحت اسم "علم العمران البشري"، وقد أدرج ضمنها موضوعات خاصَّة

[1] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون (د.ط؛ بيروت: دار الفكر للطبع والنشر، 2011م)، ص 49.

بالدُّول وقيامها وسقوطها، وبالمعاش والاقتصاد، وبالجغرافيا والتَّاريخ، وبالثَّقافة وعلوم الإنسان، والتَّعليم والتَّربية، وبالفلسفة والفقه والأصول وعلوم الشَّريعة وتصنيفاتها، وبالدِّين والنبوة عامةً، وبالكثير مما يعرف اليوم بموضوعات العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة والسلوكيَّة.

ومن بين ما ناقشه صاحب المقدِّمة موضوع التَّعليم والتَّعلُّم وموضوع الصِّناعات والصَّنائع، وعدَّها من صميم علوم العمران وربطها بمسألة الملكات، وجعل هذه الأخيرة عنصرًا أساسيًّا في العمران والتَّعليم والتَّعلُّم، وبناء الدُّول وسقوطها. من هنا تأتي أهميَّة موضوع الملكات في العمران البشري كما جسَّدها ابن خلدون وأطَّرها ضمن الإطار الكلي لعلم العمران البشري.

لذا تحاول هذه الورقة إثارة مسألة الملكات وأهميَّتها في علم العمران الخلدوني، من خلال توضيح مفهوم الملكات، وأنواعها ووظائفها، وكيف جعلها ابن خلدون عنصرًا مهمًّا في دراسة العمران وبناء الحضارة، وتستهدف الورقة بيان كيف استطاع ابن خلدون ربط الملكات بالعمران، وجعلها ذات وظيفة أساسيَّة في كل ما يقوم به الإنسان والدَّولة من وظائف وأعمال وأنشطة. وعلى الرغم عن تركيز ابن خلدون في موضوع الملكات خاصَّة في مجال التَّعليم والتَّعلُّم ومجال الصَّنائع، إلا أنَّ الباحث الحصيف سيلاحظ أنَّها تدخل في كلِّ مجال من المجالات الحياتيَّة التي يقوم بها الإنسان، من الحكم والحكامة، والتَّدبير والاقتصاد والمعاش والتَّعليم والتَّعلُّم، وبناء الدُّول وقيامها وغيرها من مجالات العمران الحيويَّة. وقد استخدمت الورقة المنهج الوصفي التَّحليلي من خلال استقراء النُّصوص وتحليلها من أجل استكشاف رؤية ابن خلدون في أهميَّة الملكات في العمران البشري.

وقسمت الورقة إلى مقدِّمة ومبحثين رئيسين وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع التي رجع إليها.

أولاً: مفهوم "الملكة" و"العمران البشري" عند ابن خلدون

يتناول هذا المبحث تعريف الملكات عند ابن خلدون، مع ربطه ببعض تعاريف هذا المفهوم كما تناولها بعض العلماء من القدماء والمعاصرين.

مفهوم "الملكات" لغةً واصطلاحًا

يعرف ابن منظور "الملكة" في معجمه (لسان العرب) قائلاً: "طال ملكه وملكه وملكته (عن اللحياني). وأقر بالملكة والملوكة. أي: رقه. ويقال: إنه حسن الملكة والملك (عنه أيضًا). وأقر بالملكة والملوكة. أي الملك. وفى الحديث:" لا يدخل الجنة سيء الملكة"، متحرك. أي: الذي يسئ صحبة المماليك. ويقال: فلان حسن الملكة إذا كان حسن الصنع إلى مماليكه. وفى حديث: حسن الملكة نماء، هو من ذلك."[2]

تتخذ كلمة "الملكة" في هذه الشُّروح اللغويَّة بعدًا أخلاقيًّا، وتعني التَّعامل الجيد والحذق والكيس، وفى الوقت نفسه، تعني الكلمة الصَّنيعة، بيد أنَّ الملكة في المعجم الوسيط تعني "صفةٌ راسخةٌ في النَّفس، أو هي استعدادٌ عقليٌّ خاصٌّ لتناول أعمال مُعيَّنة بحذقٍ ومهارة"[3]، مثل: الملكة العَدَدِيَّة، والملكة اللغويَّة، والملكة الموسيقيَّة، وملكة الخطابة، والملكة الشعريَّة، تدلُّ الملكة على الملك والامتلاك، أي: ما أستطيعه وأملكه، أو قد تعني حسن المعاملة مع... الخدم والأصحاب، ويقال: يتمتع بملكة فنيَّة عالية، وجمع ملكة ملكات، وهو جمع مؤنث سالم. من هنا، فالملكة لغةً نوع من الاستعداد النَّفسي والفطري والعقلي لتناول أعمال معيَّنة، بحصافة وحنكة ونضج وإبداع وذكاء، ودقة ومهارة وإتقان وجودة وإدراك وصنعة.[4] ومن ثم فالإنسان يمتلك مجموعة من الملكات العقليَّة

---

[2] محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب (ط1؛ بيروت: دار صبح، 2006)، ج 13، ص177.

[3] ينظر: إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، المعجم الوسيط (القاهرة: دار الدعوة، مجمع اللغة العربية).

[4] المرجع السابق.

الفطريَّة الوراثيَّة، والملكات المكتسبة عن طريق التَّعلُّم والدُّربة والممارسة والتَّجريب، ويعني هذا أن ثمة ملكات وراثيَّة فطريَّة عقليَّة، وملكات تجريبيَّة وحسيَّة مكتسبة، ما يعني أن الإنسان تتحكَّم فيه الوراثة والبيئة معًا، أي إنَّه كائن فطريٌّ ومكتسب على حدٍّ سواء[5].

وتأسيسًا على ما سبق، فثمة مجموعة من الملكات التي يمتلكها الإنسان، كالملكة اللغويَّة، والملكة الموسيقيَّة، والملكة المنطقيَّة، والملكة الغنائيَّة، والملكة الطبيعيَّة، والملكة الفنيَّة، والملكة الشعريَّة، وملكة الحفظ، وملكة الخطابة، وهلمَّ جرًّا... وتدلُّ الملكة في المعاجم الحديثة على القدرة، والطَّبع، والسَّليقة، والصِّفة الرَّاسخة في النَّفس.

ويمكن ترجمة كلمة الملكة بـ(Maturity)، ويُقصد بها النَّضج، والحصافة، والحنكة، والإبداع، واليَنعة، والإدراك، وبلوغ الرشد[6]، بيد أنَّ هناك من يترجمها بـ(Competence)، بمعنى الكفاءة المضمرة التي يمكن من خلالها توليد جمل لامتناهية العدد حسب اللساني الأمريكي نعوم تشومسكي (N. Chomsky).

ومن حيث الاصطلاح، فالملكة هي التي نحصل عليها بالمران والدُّربة والتَّعلُّم والصَّقل والمعاناة والتِّكرار، حتى تصبح صفةً راسخةً في نفس المتكلم، ومن جهة أخرى، قد تدلُّ على المهارة والصِّناعة والجودة والكفاءة كما يعبِّر عنها ابن خلدون في مقدَّمته الشهيرة. ومن المعلوم أنَّ الملكات تلك القدرات التي يكتسبها الإنسان وراثيًّا أو تجريبيًّا، وينتج من خلالها تحصيل مجموعة من المعارف والمهارات والمواقف والميول، بمهارة وحذق ودراية. زد على ذلك، أنَّ العقل مجرد ملكة من الملكات التي يستخدمها الإنسان على مستوى التَّفكير إلى جانب الخيال والذَّاكرة والمنطَقة والتَّجريد والتَّخيُّل.

---

[5] http://montdatarbawy.com/show/122658، "تربية الملكة الانسانية عند ابن خلدون"، المنتدى الإسلامي العالمي للتربية، نشر بتاريخ 15/ 11/ 2018م.

[6] جبور عبد النور وسهيل إدريس، المنهل فرنسي – عربي (ط9؛ بيروت: دار العلم للملايين، 1986م)، ص652.

مفهوم الملكات في التُّراث العربي القديم

تحدَّث علماؤنا القدامى عن "الملكات" تلميحًا أو تفصيلاً، خاصَّة في مجال اللغة والنَّحو والبلاغة واللسان، وربطوها بالسَّليقة والطَّبع والفطرة والصِّناعة والمهارة والكفاءة والذَّوق. تعني الملكة عند ابن خلدون السَّليقة والسَّجيَّة الفطريَّة والحدس اللغوي وإنتاج اللغة الأم، كما تدلُّ الملكة على كونها صفة راسخة في النَّفس.

ويعرفها الشَّريف الجرجانيُّ على النَّحو الآتي: "الملكة هي صفة راسخة في النَّفس، فالنَّفس تحصل لها هيئة بسبب فعل من الأفعال، ويقال لتلك الهيئة كيفيَّة نفسانيَّة، وتسمَّى حالة ما دامت سريعة الزَّوال؛ فإذا تكرَّرت ومارستها النَّفس حتى رسخت تلك الكيفيَّة فيها وصارت بطيئة الزَّوال، فتصير ملكة، وبالقياس إلى ذلك الفعل عادة وخلقًا"[7]، ويعني هذا أنَّ الملكة حالة مستمرَّة وبطيئة راسخة في نفس الإنسان، وتنبني على أفعال مكرَّرة إلى أن تتحوَّل إلى عادة وخلق وصناعة.

ويربط إخوان الصفا الملكة بالعادة والمهارة: "واعلم أنَّ العادات الجارية بالمداومة عليها تقوِّي الأخلاق الشَّاكلة لها، كما أنَّ النَّظر في العلوم والمداومة على البحث عنها والدَّرس لها والمذاكرة فيها يقوِّي الحذق بها والرُّسوخ فيها، وهكذا المداومة على استعمال الصَّنائع والتَّدرُّب فيها يقوِّي الحذق بها والأستاذيَّة فيها"[8]، فالملكات لدى إخوان الصفا تعني الحذق والمهارة والرُّسوخ في الشَّيء، والمداومة والدُّربة والمران والتِّكرار، ويعني هذا أنَّ الملكات مقترنة بالجودة والإتقان والمهارة والإدراك الجيد للأشياء والصَّنائع. ويضاف إلى ذلك أنَّ من أهم خطوات التَّعليم: الحفظ، والمحاكاة، والتِّكرار، والتَّجريب، والدُّربة، والإكثار من التَّمارين.

---

[7] الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات (تونس: الدار التونسية للنشر، 1971م)، ص47.

[8] إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا (لبنان: دار بيروت، 1983م)، ص42.

مفهوم الملكة عند ابن خلدون

في هذا الصَّدد يقول ابن خلدون: "اعلم أنَّ اللغاتِ كلَّها ملكات شبيهة بالصِّناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنَّظر إلى المفردات، وإنما هو بالنَّظر إلى التَّراكيب، فإذا حصلت الملكة التَّامَّة في تركيب الألفاظ المفردة للتَّعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التَّأليف الذى يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسَّامع، وهذا هو معنى البلاغة"[9]، من جهة أخرى على أنَّ الملكات لا تحصل وتترسخ إلا بالممارسة وبتكرار الأفعال، حتى تصير ملكة راسخة، ومعنى الحال أنَّها صفة غير راسخة.[10]

ويتردَّد مصطلح "الملكة" عند ابن خلدون كثيرًا، فهي مدخل لكلِّ دراسة لسانيَّة وغير لسانيَّة، وهي الصِّفة الرَّاسخة في وجدان الكاتب، أو اللغوي، أو النَّحوي؛ للتَّمييز بين الخطأ والصَّواب، ومعرفة الخير من الشَّرِّ، والتَّفريق بين الحسن والقبيح، وهي بمنزلة معيار للتَّمييز بين الصَّحيح اللغوي من اللاحن والمحال الرَّديء، والتَّفريق بين الغثِّ والسَّمين. وتحصَّل الملكة بالطَّبع والسَّليقة والجِبلة الفطريَّة، أو تحصَّل بالاكتساب التَّدريجي إلى أن تصبح ملكة طبيعيَّة في نفس الإنسان، مصقولة بالدُّربة والحصافة والمهارة.

وقد تعني الملكة في البيان، امتلاك الذَّوق بإدراك أسرار البلاغة البيانيَّة نظمًا وبلاغةً وطبعًا، يصرح ابن خلدون بقوله: "اعلم أن لفظة الذَّوق يتداولها المهتمون بألوان وفنون البيان، ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان، فالمتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرَّى الهيئة المفيدة لذلك على أساليب العرب، وأنحاء مخاطباتهم، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده"[11].

---

[9] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون (بيروت: دار الرشاد الحديثة، دار الفكر، د.ت)، ص ص554-555.

[10] المرجع السابق، ص555.

[11] عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ص262.

ويعني هذا أن الذَّوق ملكة وجدانيَّة، بها ندرك أسرار الجمال في التَّراكيب البلاغيَّة، ونتوصَّل إلى مواطن تميزها فنيًّا وجماليًّا، وهذه الملكة الوجدانيَّة تُكتَسب عن طريق التِّكرار والدُّربة والمران وتذوُّق النُّصوص الأدبيَّة. ومن خلال حديث ابن خلدون عن مفهوم "الملكة"، فقد أوضح الفرق بينها وبين الطَّبع في قوله: "فالملكة فعل اختياريٌّ غير غريزيٍّ أو فطريٍّ، وإنَّما يشبه الطَّبع عندما يتمُّ نتيجة المران والقدم، فيظنه المشاهد طبيعيًّا وهو ليس كذلك؛ لأنَّها لا تحدث بدون فكرة وتعب، مثل الطَّبع الذي لا نجد فيه تعبًا، فيقرر أن الأفعال الاختيارية كلها ليس شيء منها بالطَّبع، وإنما هو يستمرُّ بالقدم والمران حتى يصير ملكة راسخة فيظنُّها المشاهد طبيعيَّة."[12]

والفرق بين الملكة والطَّبع في نظر ابن خلدون أنَّ الملكة تكون قبل اكتسابها أمرًا شعوريًّا، أما بعد اكتسابها فتكون لا شعوريَّة، وبين كذلك أن الفعل المراد حصوله يجب أن يكون متتابعًا مستمرًّا غير منقطع؛ لأنَّ عدم الاستقرار في الفعل يؤدي إلى عدم رسوخ الملكة.

أمَّا عن الملكة اللسانيَّة فهي مصطلح خاصٌّ بابن خلدون يقصد به قدرة اللسان في التَّحكُّم في اللغة والتَّصرُّف فيها، فيقول: "إنَّ اللغة ملكة في اللسان وكذا الخط صناعة ملكة ملكتها اليد"[13]. وهو يشبِّه اللغة بالخطِّ، فاللسان هو الذي يتصرَّف في استعمال اللغة كما أنَّ اليد هي التي تتصرَّف في الخطِّ، ويرى أنَّ تمام الملكة اللسانيَّة إنما هو بالنَّظر إلى التَّراكيب لا بالنَّظر إلى المفردات؛ لأنَّ اللغات كلَّها ملكات للتَّعبير عن المعاني، وإيصال المعنى لا يكون باللفظ المفرد، وإنَّما بالتَّراكيب المؤلَّفة من الألفاظ، فيقول: "اعلم أنَّ اللغاتِ كلَّها ملكات شبيهة بالصَّناعة، إذ هي ملكات في اللسان والعبارة في المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك

[12] عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ج 3، ص 1104.

[13] عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ج3، ص1126.

بالنَّظر إلى المفردات وإنَّما هو بالنَّظر إلى التَّراكيب والجمل"[14]. وتقوم نظرية الملكة اللسانيَّة عند ابن خلدون على مجموعة من الأسس المتكاملة هي:

- إنَّ السمع أبو الملكات اللسانيَّة.
- إنَّ اللغة هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لسانيٌّ؛ فلا بدَّ أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان.
- إنَّ تربية الملكة لا يحتاج إلى النَّحو الذي هو علم صناعة الإعراب.
- إنَّ تربية الملكة اللسانيَّة يحتاج– خاصَّة هذه الأيام – إلى اصطناع بيئة لغويَّة سليمة تحيط بالطِّفل من كل جانب.
- إنَّ تربية الملكة اللسانيَّة يحتاج إلى حفظ النُّصوص الجماليَّة، والتَّكرار، وكثرة الاستعمال.

أما طريقة تحصيل الملكة اللسانيَّة وتعهدها بالتَّربية والتَّطوير فيبيِّن ابن خلدون أنَّ السمع أبو الملكات اللسانيَّة، وهذا يعني أن بناء الغريزة والملكة اللغويَّة يبدأ بالاستماع الجيد إلى النُّصوص الجميلة. ويرى ابن خلدون أنه بعد أن انتهى العهد الذي كان فيه تربية الملكة اللسانيَّة طبعًا وسليقةً، فإنه لا بدَّ من اصطناع المناخ اللغويّ اصطناعًا متعمَّدًا، واتخاذ الوسائل التي توصل إلى إجادة الملكة اللسانيَّة، ثم يربط بين كثرة المحفوظ والاستعمال، وبين قوة التَّعبير بلاغةً ونقدًا، فيقول: "وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظمًا ونثرًا، ومن حصل على هذه الملكات

[14] عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ج03، ص1140.

فقد حصل على لغة مُضَر، وهو النَّاقد البصير بالبلاغة فيها، وهكذا يجب أن يكون تَعَلُّمُهَا، والله يهدي من يشاء بفضله وكرمه"[15].

قدَّم لنا ابن خلدون في مقدمته القاعدة الأساسية في تحقيق الملكة اللسانيَّة وتعلُّم اللسان العربي، وهو الاستماع بقوله: "فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربيَّة موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله، وأساليبهم في مخاطبتهم وكيفيَّة تعبيرهم عن مقاصدهم؛ كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها... ثم لا يزال سماعهم يتجدَّد في كل لحظةٍ وحين..."[16]. بعدها دعَّم القاعدة الأساسية بأساس آخر وهو الحفظ طريقةً لاكتساب اللسان العربي بقوله: "ووجه التَّعليم لمن يبتغي هذه الموهبة ويبغي تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن الكريم والحديث، وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم... حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم... منزلة من نشأ بينهم"[17].

ولم يكتف ابن خلدون بسنِّ قاعدته في تعليم اللغة العربيَّة وتحقيق الملكة اللسانيَّة فيها فقط، إنما وضع لها علامةً ومحكًّا في تحقيقها، على أثره تتحقَّق جودة الملكة اللسانيَّة بقوله: "وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظمًا ونثرًا ... فبارتقاء المحفوظ في طبقة من الكلام، ترتقي الملكة الحاصلة "[18]، أي جعل ابن خلدون للمحفوظ مستويات تتحقَّق وتتكوَّن على أثرها جودة الملكة اللسانيَّة لدى الحافظ، تتمثَّل هذه المستويات في جودة المحفوظ وطبقته في

---

[15] http://montdatarbawy.com/show/122658، مرجع سابق.

[16] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة (بيروت: دار الفكر، 2004)، ص574.

[17] المرجع السابق، ص579.

[18] المرجع نفسه، ص596- 597.

جنسه وكثرته من قلَّته بقوله: " وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته من جنسه وكثرته من قلَّته، تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ..."[19].

وتمثَّلت القاعدة الثَّالثة في المنظور العمراني الخلدوني بعد الاستماع والحفظ؛ فهم المسموع والمحفوظ، سواء أكان ذلك المسموع والمحفوظ من القرآن الكريم، أم من الأحاديث النَّبويَّة، أم كان من المنثور من كلام العرب؛ لتحقيق الملكة اللسانيَّة، وتعلُّم اللسان العربي؛ لما لها من ضرورة عالية في تثبيت المحفوظ واستثماره في تحقيق جودة الملكة اللسانيَّة لدى الفرد، وقد أكَّد على ذلك بقوله: "ثم يتصرَّف بعد ذلك في التَّعبير عمَّا في ضميره على حسب عباراتهم، وتأليف كلماتهم، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم؛ فتحصل له هذه الملكة بالحفظ والاستعمال..."[20].

ولم يكتفِ ابن خلدون بالقواعد الثَّلاث في تحقيق الملكة اللسانيَّة لدى الفرد (الاستماع، والحفظ، والفَهم)، وإنما دعَّمها بأساسٍ رصينٍ وقاعدة مُسلحة بالمعرفة العميقة بعد فَهم الكلام من المحفوظ والمسموع، تمثَّل في استخدام ذلك المسموع والمحفوظ في الكلام، إذ عبَّر عن هذا المعنى باستعمال فعل «تصرف»، حيث قال: ... ثم يتصرَّف بعد ذلك في التعبير عمَّا في ضميره بحسب عباراتهم، وتأليف كلماتهم، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال[21]. وبذلك يكون ابن خلدون من الأوائل الذين وضعوا تصوُّرًا كاملاً للملكة اللسانيَّة من حيث الاعتماد على الجملة لا على المفردات المكوِّنة، ومن حيث حصولها من المعايشة المستمرة للنُّطق في بيئة الفرد، فالمتكلم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم للتعبير عن مقاصدهم، هكذا تيسرت اللغات من جيل إلى جيل آخر.

---

[19] المرجع نفسه، ص596.

[20] المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[21] المرجع نفسه، ص574.

مفهوم العمران البشري عند ابن خلدون

يُعدُّ بن خلدون من أبرز العلماء الذين عرفتهم الحضارة العربية الإسلاميَّة على مرِّ التاريخ، إذ يمكن عدُّه أحد أعمدة التُّراث الفكري العربي الإسلامي، لقد كانت منجزاته في علم الاجتماع وعلم التاريخ علامةً فارقة أضافت كثيرًا من الإنجازات والأفكار الجديدة إلى الفكر العربي الإسلامي والفكر الإنساني عامة، في مختلف النواحي الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والعلمَّية[22]، فتوصل ابن خلدون إلى "علم العمران البشري" في أوائل الرُّبع الأخير من القرن الرَّابع عشر، حيث أخضع تشكُّل التَّجمُّع الإنساني للقانون الطبيعي، أي العلم والسُّنن الإلهيَّة، ثم فسَّر العلاقات النَّاشئة داخل تلك التَّجمُّع على أساس طبيعي أيضًا، وبيَّن بعض أسبابها مشابهًا لتعريف علم الاجتماع بأنَّه: الدِّراسة العلميَّة لأنماط العلاقات الاجتماعيَّة وعملياتها بين البشر.[23] وعلم العمران البشري عند ابن خلدون هو علم الاجتماع بمفهومه الحديث، وهذا يؤكِّد أنَّ المؤسِّس الحقيقي لهذا العلم هو ابن خلدون، وأنَّه قد سبق أوجست كونت، فمقدِّمته من أعظم الأعمال الفكريَّة التي لم يتوصل إليها بعد أيُّ عقل بشريٍّ[24] في أي زمان وفي أي مكان. ويرى ابن خلدون أنَّ الاجتماع الإنسانيَّ ضروريٌّ للإنسان؛ لأنَّ الإنسان مدنيٌّ بطبيعته يحتاج إلى الآخرين من أبناء جنسه لاكتمال وجوده[25]. أي أيد من الاجتماع الذي هو المدنيَّة في اصطلاحهم وهو معنى العمران.[26]

---

[22] جهاد علي السعايدة، "دراسة تحليلية تقنية المأخذ على فكر ابن خلدون لي نظرته العرب ونظريتي العصبية والدولة والمنهج الذي اتبعه،" مجلة جامعة دمشق، (دمشق: جامعة دمشق، م30، ع3+4، 2014م)، ص499.

[23] Ronney, Sociology (Thomson, USAToynbee, 2003), p.25.

[24] A, The Study of History (London: Oxford University, 1965), p322.

[25] حياة حسين الحوسني، ملامح الفكر الاجتماعي (ط1؛ الإسكندلاي: دار المعارف، 2006م) ص58.

[26] عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة (تونس: الدار التونسية، 1984م)، ج1، ص77.

فالاجتماع الإنساني عنده هو العمران البشري الذي هو التَّساكن والتنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشير، واقتضاء الحاجات لما في طباعهم في التعاون على المعاش[27]، وهذا يوضح أن ابن خلدون يقصد بمصطلح العمران الحياة الاجتماعيَّة[28]، وما ينتج عنها أو يرافقها من مظاهر اجتماعيَّة وسياسيَّة واقتصاديَّة وثقافيَّة[29]...إلخ، فالدَّافع الأول إلى الاجتماع هو الحاجة الماديَّة الطبيعيَّة وهي لا تقوم للإنسان إلا بالتَّعاون مع أبناء جنسه[30]، وذلك بهدف إشباع حاجتين أساسيتين لا يستطيع بمفرده تحقيقهما، وهما حاجته إلى الغذاء، وحاجته إلى الأمن والدِّفاع عن نفسه[31].

خصائص العمران البشري

حسب رأي ابن خلدون هنالك خصائص أساسية معيَّنة من أجل دوام المجتمع البشري[32].

1. يعدُّ المجتمع ككل (وليس الفرد بحد ذاته) قوَّة متماسكة في وجه العوامل البشريَّة والطَّبيعيَّة، وهذا يفسر ضرورة الاجتماع الإنساني وحاجة الفرد إلى مساعدة الآخرين للدِّفاع عنه، فالمجتمع هو أكبر جماعة في منطقة جغرافيَّة معيَّنة.

---

[27] عبد الرحمن بن خلدون، (1960م)، المقدمة: كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: عبد الواحد وافي، (ط1؛ القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، ج2، ص407.

[28] عبد الله عبد الغني غانم، تاريخ التفكير الاجتماعي (القاهرة: المكتب الجامعي الحديث، 1989م)، ص430.

[29] محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي (ط 4؛ الدار البيضاء: دار النشر المغربية، 1984م)، ص460.

[30] عبده الحلو، ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع (ط1؛ بيروت: دار المعارف، 1969م)، ص44.

[31] جمال شعبان وآخرون، فكر ابن خلدون الحداثة والحضارة والهيمنة (ط1؛ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007م)، ص76.

[32] فؤاد البعلي، ابن خلدون وعلماء الاجتماع الحديث (دمشق: دار المدى للنشر والتوزيع والنشر، 1997م)، ص46:49.

2. يحتاج المجتمع البشري إلى حاكم: لا بُدّ للنَّاس من شخص يحملهم على مصالحهم وينزعهم من مفاسدهم بالقهر، ومجتمع بدون قائد قد يفضي إلى "الهرج المؤذن بهلاك البشر وانقطاعهم".[33]
3. الأعمال والوظائف الضروريَّة لرفاهة المجتمع توزَّع على أفراد ذوي كفاءة ومقدرة.
4. المجتمع يعمل (ككل) من خلال تعاون أفراده.
5. لكل مجتمع بقعة معيَّنة من الأرض، أي لكل دولة حصَّة من الممالك والأوطان التي لا تتعدى عليها[34]، وضمن البقعة الجغرافيَّة يعمل الناس معًا لحفظ المجتمع والدِّفاع عنه ضد الأعداء، ويقومون بتنفيذ القوانين بما فيها القيود على السُّلوك وجمع الضرائب وغيرها من المتطلبات.
6. للمجتمع ثقافة معيَّنة، فالثقافة تتكوَّن من عناصر ومزايا عديدة في هذا العالم، مثل الكتابات والأمراء التي انحدرت إلى جميع الشعوب وفي مختلف الأزمنة والاختلافات بين الثقافات يأتي نتيجة التَّباين في القوانين والتَّنظيمات الدِّينيَّة والمعرفة.
7. الانتماء والولاء للمجتمع، فبقاء المجتمع لزمن طويل يعتمد على التماسك الاجتماعي (العصبيَّة) أو الإحساس بالانتماء والولاء للمجتمع، فالعصبيَّة تقرِّر استمراريَّة المجتمع الإنساني، فكلما كانت العصبية قوية كان بإمكان المجتمع التَّمتُّع بالبقاء.

---

[33] https://ketabonline.com/ar/books "موسوعة مصطلحات ابن خلدون والشريف على محمد الجرجاني".

[34] عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون تحقيق: خليل شحادة (ط2؛ بيروت: دار الفكر، 1408هـ، 1988م)، ص93.

أنواع العمران البشري عند ابن خلدون

يعني العمران البشري ابن خلدون مجموعة مركبات البنيَّات التَّحتيَّة والفوقيَّة للمجتمع، وقد لاحظ نوعين من العمران هما[35]: العمران البدوي، والعمران الحضري. ويفرِّق البعض بين ما أطلق عليه ابن خلدون العمران البدوي والعمران الحضري بما يسمَّى "بالحضارة البدائيَّة والحضارة المتمدنة."[36]

وقد تناول بن خلدون البادية وتحليل أهلها وتفسير سلوكهم فيها، في ضوء ما فطن له من عوامل عمرانيَّة، إنما يقوم على أسس اجتماعيَّة محددة، وقد استطاع بمنهجه العلمي وقواعده المنهجيَّة أن يستنبطها، فهو يرى أنَّ البادية تمثِّل بداية العمران، وأنَّ الحياة الاجتماعيَّة كانت بدائيَّة ومبسطة ومحدودة، وأنها تتخذ أشكالاً بدائيَّة وفق عوامل البيئة الطَّبيعيَّة التي تشمل سطح المنطقة وما إذا كانت تلالاً أو سهولاً أو صحراء. وقد جعل حديثه عن البدو في مجموعة من المقدِّمات المنهجة التي تنمُّ عن منهجه النقدي في الوصول إلى طبيعة العمران البشري في البادية، يقرِّر ابن خلدون أنَّ ما هو ضروري لمعيشة الناس، توجد له ظاهرة لا بدَّ من وجودها في المجتمع، فتصبح من لزوميَّات العمران وأساسيَّاته، فبقاء الإنسان وحفظ نوعه مرتبط بالغذاء، ولما كان لا يستطيع تأمين غذائه بمفرده، فلا بدَّ من اجتماع الأيدي، وتنوُّع خصائصها، ولا بدَّ من تعاونها بعضها مع البعض؛ ليحصل لهم القوت، ولا بدَّ من وجود حاكم من بينهم تكون له الغلبة والسُّلطان عليهم؛ ليمنع عدوان بعضهم على بعض ويحكم بينهم في منازعاتهم[37].

---

[35] محمد عبد المولى الدقس، سوسيولوجيا الصنائع عند ابن خلدون، دراسة في علم اجتماع العمل، مجلة جامعة الملك سعود، (المملكة العربية السعودية: جامعة الملك سعود، م13، الآداب (1)، 1420هـ،2001م)، ص381.

[36] Mahdi, Muhsin, Ibn Khaldun's Philosophy of the History (1964), p139.

[37] انظر: المقدمة، ج44، ص91.

وبذلك يتمُّ العمران الذي يكون بعضه بدويًّا وبعضه حضريًّا، تبعًا لما يتكامل لكل من نوعي العمران بأن عنايته في الأكثر إنَّما هي بالمغرب الذي هو وطن البربر وبالأوطان التي للعرب من المشرق[38].

ثانيًا: أنواع الملكات ووظائفها في العمران البشري

يذكر ابن خلدون في (مقدمته) مجموعةً من الملكات الرَّئيسة، مثل: ملكة الحفظ، وملكة الفهم، وملكة الذَّوق، وتصقل هذه الملكات باللغات والبيان والبلاغة والنَّحو وعلوم الآداب حفظًا وفَهمًا. من هنا، لابدَّ أن تترسَّخ الملكات في نفوس المتعلمين بالمران والدُّربة والمجاهدة، حتى تترسَّخ في نفوسهم، وتصبح مطبوعة وفطريَّة وسليقة[39].

أنواع الملكات وأهميتها في العمران

يصنف ابن خلدون الملكات من حيث طبيعة حدوثها إلى قسمين[40]:

8. ملكات فطريَّة، ويصطلح عليها بالجِبلة.
9. ملكات صناعيَّة مكتسبة، ويصطلح عليها بالصِّناعة[41].

مفرقًا بينهما في كيفيَّة الحصول عليها: بحيث إنَّ الأولى موجودة في الفرد بالفطرة، أي إنَّها استعداد فطريٌّ يولد به الطَّفل حسب تعبير تشومسكي، أمَّا الثانية فتحدث بالممارسة والدُّربة والمران.

---

[38] المرجع نفسه، ص41.

[39] عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ص ص554، 555.

[40] التدريس، مجلة كلية علوم التربية، (العدد 5، السلسلة الجديدة 2013م)، ص52.

[41] عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ص ص554، 555.

ومن حيث درجة عموميَّتها، هناك نوعان من الملكات:

1. الملكات الأساسية التي ينبغي للمتعلم أن يحصلها من خلال تعلُّمه، وهي غاية التعلم وهدفه الأسمى، "وذلك أن الحذق في التَّعلُّم والتَّفنُّن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله[42]".
2. الملكات الوسيطة (الأداتيَّة) التي تخدم غيرها في طريق تحصيل الملكة الأساسية، فالمتعلم يحصل ملكة أوليَّة (وسيطيَّة) تساعده على الوصول إلى الملكة الأساسية، مثل ملكة الوضوء من أجل تحصيل الملكة الأساسية التي هي الصَّلاة.

وهناك تصنيف آخر للملكات:

تتنوع الملكات عند محمد الدريج[43]، فهناك ثلاثة أنواع كبرى من الملكات: ملكات أساسيَّة في الحياة، وملكات أكاديميَّة في التعليم، وملكات مهنيَّة في الصِّناعة.

والملكات الأساسيَّة في الحياة هي التي لا يمكن الاستغناء عنها، فهي آليات رئيسة في اكتساب المعرفة الجوهريَّة، وتنقسم إلى:

أولاً – ملكة اللغة والتَّواصل شفويًّا وكتابيًّا، وملكة الحساب والتِّعداد.

ثانيًا – الملكات المعرفيَّة والمنطقيَّة التي تستند إلى مجموعة من العمليات الذِّهنيَّة والمنطقيَّة، وذلك باستعمال التأمُّل العقلي كتابة، وتقوية العقل عن طريق الحساب العددي.

ثالثًا– الملكات العمليَّة الاجتماعيَّة التي ترصد أوليات السلوك والممارسات في الاجتماع البشري والأخلاق، وتهتم بتدبير المنزل.

---

[42] التدريس، مجلة كلية علوم التربية، مرجع سابق، ص54.

[43] جميل حمداوي، جديد النظريات التربوية بالمغرب: نظرية الملكات (كتاب الصلاح)، 2015، ص32.

أمَّا الملكات الأكاديميَّة في التَّعليم، فهي ملكات تربويَّة نوعيَّة مرتبطة بالتَّعلُّم واكتساب المعرفة، وتتفرَّع هذه الملكات إلى الأنواع الآتية[44]:

1. ملكات في علوم دنيويَّة، مثل: الرِّياضيات، وعلوم الطبيعة، وعلوم اللغة، وعلم الاجتماع، وعلم النَّفس، والتاريخ، وعلم الكلام والجدل، والمنطق، والفلسفة...
2. ملكات في علوم شرعيَّة، مثل: أصول الدِّين، وعلم التَّوحيد، والفقه، والتَّفسير، وعلوم القرآن الكريم، والحديث، والتَّصوف...
3. ملكات لأجل علوم عمليَّة، مثل: السِّياسة المدنيَّة والملكات التكنولوجيَّة...
4. ملكات مهنيَّة، وترتبط بالمهن والصَّنائع والتِّقنيات[45]...
5. ملكات الصِّناعة البسيطة، وتكون في الضَّروريات والصَّنائع الضَّروريَّة، مثل: الفلاحة، والبناء، والحدادة، والنِّجارة، والخياطة. وتعدُّ ضروريَّة؛ لأنَّها توفِّر ما هو ضروريٌّ للعيش والحياة.
6. ملكات الصِّناعة المركبة: تكون في الكماليَّات والصَّنائع الشَّرفيَّة، مثل: التَّوليد، والكتابة، والغناء، والطِّب، والتَّعليم، وهي شرفيَّة؛ لأنَّها تعطي صاحبها شرف التَّرقي[46].

ويرى الباحث أن أبعاد ملكات القيادة عند ابن خلدون تتمثَّل في الآتي:

---

[44] المرجع السابق.

[45] المرجع السابق نفسه، ص33.

[46] المرجع السابق نفسه، ص33.

أهميَّة الملكات وأهدافها

لكون علم العمران الخلدوني مشتملاً على موضوعات متعددة ومتداخلة، مثل الإدارة والقيادة، والثَّقافة والتَّعليم، والصَّنائع والاقتصاد، والاجتماع والإنسان، والدولة والحكم وغيرها، فإنَّ هناك حاجة إلى تحليل آراء ابن خلدون ومحاولة النَّظر في إمكانيَّة الاستفادة منها في ظروفنا وأوضاعنا المعاصرة. ويعدُّ مفهوم العمران البشري من أهمِّ المفاهيم التي أبدع فيها ابن خلدون وذلك بربطها بمفاهيم ومجالات حياتيَّة مختلفة ومتنوِّعة، منها الملكات عامَّة والملكات القياديَّة خاصَّة. ومن أجل تحقيق أعلى مستويات العمران البشري والحضارة يتطلَّب الأمر تطوير الملكات والمهارات والقدرات والخبرات، القياديَّة والإبداعيَّة والفكريَّة والمعرفيَّة والوجدانيَّة وغيرها، ومن هنا تأتي أهميَّة الملكات في العمران البشري عند ابن خلدون، نجد أن العمران الإنساني عند ابن خلدون يركز على العلوم والتَّدريب والملكات والقدرات والمهارات؛ لتطوير الأداء الإداري وإلهام الكفاءة القياديَّة، فيكون العلم هو المصدر الأهم للإنسان في المجتمع، من خلال ما يتميز به من خصائص حضريَّة، ومن توافر مختلف الموارد الفرديَّة والقوميَّة، ومدى تطوُّر العلوم[47]، مما يتناسب مع متطلبات الوظيفة، وهذا بدوره يعمل على تنمية أداء الإنسان في العمل العمراني عامة.

وكما تمت الإشارة إليه من قبل، فإنَّ الملكة خاصيَّة مركَّبة تتكوَّن من مجموعة من القدرات والكفايات والمهارات والصِّناعات والاتجاهات والميول، يتسلَّح بها الإنسان المتعلم من أجل مواجهة الوضعيات المعقَّدة، وحلِّ مختلف المشكلات التي تعترضه في الحياة، وتعبِّر هذه الملكات عن حصافته وحنكته وحذقه وبراعته وذكائه، بمعنى أنَّ الملكاتِ معيارٌ للجودة والمهارة والإتقان، وتكتسب عبر

---

[47] محمد يسار عابدين، عماد المصري، الفكر التنموي في مقدمة ابن خلدون دراسة تحليلية مقارنة الاتجاهات النظرية المفسرة لعملية التنمية الحضرية والدراسة مؤشر تطور التنمية مع الزمن، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، (دمشق: جامعة دمشق، مج 25، ع1، 2009م)، ص 38.

الممارسة والمعاينة والتَّجريب والتِّكرار، حتى تترسَّخ صفة المهارة والحذق في نفس الإنسان[48]. فالملكات مرتبطة بالعقل والدماغ العصبي من جهة، ومقترنة بالمكتسب التَّجريبي عن طريق الملاحظة والاكتساب والتِّكرار وفعل العادة والدوام والاستمرار من جهة أخرى، من هنا، فالتِّكرار آليَّة من آليَّات اكتساب المعرفة لدى الإنسان المتعلم وغير المتعلم.

وعليه، فالملكات بمنزلة قدرات وطبائع وصفات وأحوال وهيئات وقدرات واتجاهات وميول، تكون وراثيَّة من ناحية، أو مكتسبة من ناحية أخرى، وذلك عن طريق التَّجريب والتِّكرار وفعل العادة، من أجل مواجهة الوضعيات والظَّروف التي يوجد فيها المتعلم. وعلى هذا الأساس تدخل الملكات في تكوين الإنسان وتأهيله، وبدونها لا يستطيع أن يساهم في أنشطة العمران البشري التي تقتضي بطبيعتها وجود الملكات لدى الإنسان لكي يقوم بالوظائف المطلوبة.

وظائف الملكات في العمران البشري

في رأي ابن خلدون أنَّ المجتمعات البدويَّة تكون سابقة على المجتمعات الحضريَّة بما تملكه هذه المجتمعات من قدرات وطبائع وأحوال وهيئات وصفات، وغير ذلك؛ لأن البداوة مرحلة أوليَّة من مراحل الحياة الإنسانيَّة التي لا بدَّ من اجتيازها، فيتطوَّر الإنسان من مرحلة الضَّروريَّات إلى الكماليَّات، أي من مرحلة البداوة إلى الحضارة[49] .

ولا يكتفي ابن خلدون بتصنيف أنماط المعيشة والقوى الاجتماعيَّة من بدو وحضر، بل يقارن بين السِّمات التي يتميزان بها، ويبحث في طبيعة العلاقات بينهما، فيرى عالم الاجتماع العراقي علي الوردي أنَّ نظرية ابن خلدون تدور في الأساس حول "البداوة والحضارة وما يقع بينهما

---

[48] جميل حمدان جديد، مرجع سابق، ص30.

[49] إدريس خضير، التفكير الاجتماعي وأثره في علم الاجتماع الحديث (الجزائر: موف للنشر والتوزيع، 2003م)، ص155.

من صراع"، فهو يعدُّ أنَّ تاريخ المجتمع البشري يسير في دورات متتابعة من التَّصارع بين البدو والحضر[50].

وفسَّر ابن خلدون أسباب البداوة والتَّحضُّر بإرجاعهما إلى عوامل اقتصاديَّة وسياسيَّة وطبيعيَّة ودينيَّة، كما أوضح أنَّ الظَّواهر الاجتماعيَّة المختلفة لا تتوقف بينها على حدِّ التَّأثُّر فقط، بل يتسع بالضَّرورة إلى حدِّ التَّأثير أيضًا، وبحيث يستتبع أي تغيُّر في ظاهرة ما تغيُّر في غيرها من الظَّواهر المرتبطة بها بصرف النظر عن حجم ذلك التغير ونوعه[51]. وبناءً على ما سبق، يرى ابن خلدون أنَّ للمجتمع خصائصَ أساسيَّةً لكي يدوم طويلاً، وهذه الخصائص تكون:

- المجتمع بأكمله عبارة عن قوَّة يجب أن تكون متماسكة في وجه أي عوامل تواجهه، سواء أكانت هذه العوامل طبيعيَّة أم بشريَّة، فالمجتمع جماعة كبيرة داخل منطقة جغرافيَّة.
- احتياج المجتمع البشري إلى حاكم، فلا بدَّ من حاكم أو قائد؛ لأنَّ بساطة المجتمع بدون قائد قد تملأه الفوضى التي قد تؤدي إلى هلاك البشر، ومن ثم هلاك المجتمع.
- يجب أن توزَّع الوظائف والأعمال على أفراد المجتمع، لكل فرد وظيفة تلائم قدرته.
- يقال إن لكل مجتمع بقعة معيَّنة من الأرض، لكل دولة حصَّة من الممالك وتكون ضمن بقعتها الجغرافيَّة ويعمل الناس فيها معًا ويدا واحدة للحفاظ عليها وعلى المجتمع، ليكون لديهم القدرة على الدفاع عنهم ضد الأعداء.

---

[50] حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث في تغير الأحوال والعلاقات (ط٢؛ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009م)، ص127.

[51] فاروق العادلي، علم الاجتماع البدوي (القاهرة: دار الكتاب الجامعي، 1985م)، ص42.

- للمجتمع ثقافة معيَّنة، وتتكون الثقافة من عناصر لها مزايا مختلفة، مثل الاختلافات بين الثقافات، وسبب هذه الاختلافات التباين في التَّنظيمات الدِّينيَّة أو التَّنظيمات المعرفيَّة.
- الانتماء والولاء للمجتمع، وهذا قد يكون سببًا لبقاء المجتمع لزمن طويل، ويعتمد على التماسك الاجتماعي وهو ما يعرف بالعصبيَّة، أي إنه كلما كانت العصبيَّة قويَّة كان المجتمع في أمان ويتمتع بالاستمرار والبقاء.[52]

وهناك نقطة مهمَّة جدًّا، وهي أهميَّة دراسة جغرافيا العمران عامة، وهي في الآتي:

- علاج نشأة المساكن الرَّيفيَّة وخاصة أن لها أنواعًا، وهي دائمة وغير دائمة.
- علاج الظَّواهر المدنيَّة المختلفة، مثل: أحجام المدن أو تباعدها، وترتيبها، وغيرها من الظَّواهر.
- علاج كل ما يخصُّ السَّكن الرِّيفي، نمطه وصفاته.
- معالجة العوامل الجغرافيَّة التي قد تؤثِّر في توزيع القرى الموجودة في الرِّيف.

وهناك كليَّات عند ابن خلدون تفيد في معرفة الإنسان وفهمه تحت شروط العمران:

هناك نماذج من الكليَّات اعتمد عليها ابن خلدون في فهم البشر، وهنا كان يلزم تعرف المسائل التي تعد رابطًا للعمران البشري بشروطه، ومنها الدِّين والعرف والعصبيَّة، على أساس أنهم جزء من الثَّقافة، كما حثَّ ابن خلدون على ضرورة الحفاظ على الإيمان والعمل على صلاح الأفعال التي تساعدهم على توفير السَّعادة الأخرويَّة وتحقيقها[53].

ويمكننا أن نستنتج أنَّ مجموعة الملكات التي يمتلكها الإنسان، كالملكة المنطقيَّة والملكة الموسيقيَّة، والطبيعية والملكة الفنيَّة والشعريَّة وملكة الخطابة وغيرها، جميعهم يدلُّون على القدرة

---

[52] فؤاد البعلي، ابن خلدون وعلم الاجتماع الحديث (ط1؛ دمشق: دار المدى للنشر، 2007م)، ص89.

[53] صالح طاهر مشوش، قراءة في كتاب علم العمران الخلدوني، قراءة ومراجعات، إسلامية المعرفة، (2014م)، ص153.

والطَّبع والصِّفات التي تكمن داخل النَّفس الإنسانيَّة، وأنَّ والملكة هي النَّضج والإبداع والحنكة والإدراك... ويُحصل عليها من خلال التَّمرين والتَّدريب والتَّعليم، ونجد العقل عبارة عن ملكة من ضمن الملكات التي يمتلكها الإنسان، إما عن طريق الوراثة وإمَّا من خلال التَّجربة. ويرى ابن خلدون أن علم العمران البشري مهم جدًّا لعمارة الأرض وبنائها، ويفيد في تأسيس نهضة مدنيَّة للحضارات، وتتم عمارة الأرض من خلال: البناء والزِّراعة والصِّناعة، والانتفاع بما يوجد في باطن الأرض، والحفاظ على العدل والاستقامة، والصَّلاح في العقل، والعمل والإصلاح في الأرض، والانتفاع بالخيرات الموجودة فيها واستغلالها لفائدة الجميع.[54]

الخاتمة

من خلال العرض السابق يتضح جليًا أنَّ ابن خلدون طوَّر مفهوم الملكات وأطَّره ضمن منظومة تحليله الخاصَّة بالعمران البشري، وبهذه الطريقة أعطى مفهومًا ووظيفة حيويَّة للملكات وجعلها من عوامل بناء العمران البشري، وقدَّم لنا دراسة تحليليَّة وتركيبيَّة لمفهوم الملكات وربطها بالعمران، ومن ثم بيَّن كيف أن الملكات مكتسبة وتحتاج إلى التَّعلُّم والتَّمرين والممارسة والتِّكرار للحصول عليها وتوظيفها في واقع العمران البشري وأنشطته، كما أوضحت الورقة كذلك أهميَّة التَّعرُّف على أنواع الملكات وكيفيَّة تشكيلها والحصول عليها وأنواعها ووظائفها، كما بيَّنت أن العمران البشري بنوعيه البدوي والحضري بحاجة إلى نوعيَّات معيَّنة من الملكات التي بها يُبنى العمران ويُطوَّر خاصَّة العمران الحضاري. ومن أهمِّ ما استخلصته الورقة من آراء ابن خلدون في مسألة الملكات ووظيفتها في العمران البشري هو أنَّ الملكات أساس العمران وبدونها لا يتهمُّ بالطريقة المطلوبة.

---

[54] مرجع سابق.

وترى الورقة أن هناك حاجة إلى مزيد من الدِّراسات المتعمقة الوافية تحلِّل تطبيقات الملكات في مختلف مجالات الفعل العمراني، من الاجتماع والاقتصاد والسِّياسة، وقيام الدول وسقوطها، والثَّقافة والحضارة والعلوم والمعارف والتَّعليم والتَّعلُّم والتَّربية وغيرها من أنشطته المعروفة، وكذلك تبقى الحاجة إلى تقديم تطبيقات أخرى للملكات، خاصة في مجالات التَّعليم والتَّعلُّم، وبناء الطاقات البشريَّة في مختلف التَّخصصات تأسيسًا على مفهوم ابن خلدون للملكات وربطه بأطر العمرن البشري المعاصرة.

المصادر والمراجع

Aʿbd Ālrḥman Bin ẖaldwn ،Aʿbd Ālrḥman ،Āl-Muqdmat (Bayrwt: Dār Ālfikr*2004* ،M).

Aʿbd Ālrḥmn Bin ẖaldwn ،Ālmuqdmat: Kitāb Ālʿbr ،Wadywān Ālmbtda Wālẖbr Fy Ayām Ālaʿrb Wālʿğm Wālbrbr ،Wmn ʿāṣrhm Mn Ḏwy Ālslṭān Āl Ḱbr ،Tḥqyq: Aʿbd Ālwāḥd Wāfy (Ṭ1؛ Ālqāhrat: Muṭbʿat Lğnة Ālbyān Ālʿrby*1960* ،M).

Aʿbd Ālrḥman Bin ẖaldwn ،Maqdmat Ibn ẖaldwn (D.Ṭ؛ Lubnān ،Dār Ālfikr Lilṭbʿ Wālnšr*2011* ،M).

Aʿbd Ālrḥman Ibn ẖaldwn Maqdmat Ibn ẖaldwn ،Tḥqyq: ẖalyl Šḥādat (Ṭ2؛ Bayrwt: Dār Ālfkr*1408* ،H*1988* ،M).

Aʿbd Ālrḥman Bin ẖaldwn ،Muqdmat Ibn ẖaldwn (Bayrwt: Dār Ālršād Ālḥdyṯat ،Dār Ālfkr ،D.T).
Aʿbdh Ālḥlw ،Ibn ẖaldwn Muass Iʿlm Ālāğtmāʿ (Ṭ1؛ Bayrwt: Dār Ālmʿārf ، *1969*M).

Aʿbd Āllh Aʿbd Ālġany Ġānim ،Tāryẖ Āltfkyr Ālāğtmāʿy (Ālqāhrat: Āl-Maktb Ālğāmʿy Ālḥdyṯ*1989* ،M).

Ālšhryf Ālğarğāny ،Kitāb Ālt'ryfāt (Twns: Āldār Āltwnsyat Lilnšhr*1971* ،M).

Āltadrys ،Muğlat Kulyat U'lwm Āltrbyat ،(Āl'dd 5 ،Ālslslat Ālğdydat 2013m).

Fārwq Āl'ādly ،I'lm Ālāğtmā' Ālbdwy (Āl-Qāhrat: Dār Āl-Kitāb Ālğām'y ، *1985*M).

Fawād Ālb'ly ،Ibn ẖaldwn Wa-I'lmā' Ālāğtmā' Ālḥdyṯ ،(Dimašq: Dār Ālmdy Lilnšr Wāltwzy' Wālnšr*1997* ،M).

Fawād Ālb'ly ،Ibn ẖaldwn Wi'lm Ālāğtmā' Ālḥdyṯ ،(Ṭ1 ،Dimšq: Dār Ālmady Lilnašr*2007* ،M).

Ğamāl Šh'bān Wa-Aḫarwn ،Fakr Ibn ẖaldwn Ālḥdāṯat Wālḥḍārat Wālhymnat (Ṭ1 ،Bayrwt: Markaz Dirāsāt Ālwḥdat Āla'rbyat*2007* ،M).

Ğamyl Ḥamdāwy ،Ğadyd Ālnaẓryāt Āltarbwyat Bālmġrb: Naẓryat Ālmlkāt ، (Kitāb Ālṣlāḥ*2015* ،).

Ğihād A'ly Āls'āydat ،Dirāsat Taḥlylyat Taqnyat Ālmaḥḍ A'ly Fakr Ibn ẖaldwn Ly Naẓrth Āl'rb Wanẓryty Āl'ṣbyat Wāldwlat Wālmnhğ Ālḍy Ātb'h ، Muğlat Ğām'at Damšq ،(Damšq: Ğām'at Damšq ،M30 ،'3+4*2014* ،M).

Ğubwr A'bd Ālnwr Washyl Idrys ،Ālmunhl Farnasy – A'rby (Ṭ9 ،Bayrwt: Dār Āl'lm Llmlāyyn*1986* ،M).

Ḥalym Barkāt ،Ālmğtm' Āl'rby Ālm'āṣr ،Bḥṯ Fy Tġyr Āl-Aḥwāl Wāl'lāqāt (Ṭ ٢ Byrwt: Mrkz Drāsāt Ālwḥdat Āl'rby*2009* ،M).

Ḥayāat Ḥusayn Ālḥawsny ،Mlāmḥ Ālfkr Ālāğtmā'y (Ṭ1 ،Āl,Skndry: Dār Ālm'ārf*2006* ،M).

Ibrāhym Muṣaṭfa ،Wa-Aḥmad Ḥassan Ālzyāt ،Wa-Aḥāmd A'bd Ālqādr ،Wa-Muḥmmad Ālnğār ،Ālm'ğm Ālwsyṭ (Ālqāhrat: Dār Āld'wat ،Mğm' Āllġat Āl'rbyat).

Idrys ḥaḍyr ،Āltfkyr Ālāğtmāʿy Waʾaṯrh Fy Uʿlm Ālāğtmāʿ Ālḥdyṯ (Ālğzāir: Mawf Lilnšr Wāltwzyʿ*2003* ،M).

Iḫwān Ālṣifā ،Risāail Iḫwān Ālṣfā (Lubnān: Dār Bayrwt*1983* ،M).

Mahdi, Muhsin. *Ibn Khaldun's philosophy of History: A study in the Philosophic Foundation of the Science of Culture,* (Routledge Library Editions: Islamic Thought in the Middle Ages), 2nd Edition, Kindle Edition. ،1964.

Muḥmmad ʿābd Ālğābiry ،Fakr Ibn ḫaldwn Ālʿṣbyat Wāldwlat Mʿālm Nẓryat ḫldwnyat Fy Āltāryḫ Āl-Islāmy (Ṭ4؛ Āldār Ālbyḍāʾ: Dār Ālnšr Ālmġrby ، *1984*M).

Muḥmmad Aʿbd Ālmawly Ālduqs ،Swsywlwğyā Ālṣnāyʿ Iʿnd Ibn ḫaldwn ، Dirāsat Fy Iʿlm Āğtmāʿ Ālʿml ،Mğlat Ğāmʿat Ālmlk Sʿwd ،(Ālsʿwdyat: Ğāmʿat Ālmlk Sʿwd ،M13 ،Āl Ḏāb (1) 1420h*2001* ،M).

Muḥmmad Bin Mukram Bin Manẓwr ،Lisān Ālaʿrb (Ṭ1؛ Bayrwt: Dār Ṣbḥ ، *2006*M).

Muḥmmad Yasir ʿiābdyn ،Iʿmād Ālmṣry ،Ālfikr Āltnmwy Fy Muqadmat Ibn ḫaldwn Dirāsat Thlylyat Muqārnat Ālātğāhāt Ālnẓryat Ālmfsrat Lʿmlyat Āltnmyat Ālḥḍryat Wāldrāsat Muašr Tṭwr Āltnmyat Mʿālzmn ،Muğlat Ğāmʿat Dmšq Lilʿlwm Ālhndsyat ،(Dmšq: Ğāmʿat Dmšq ،Mğ25 ،ʿ1*2009* ،M).

Mwsiwʿat Muṣṭalḥāt Ibn ḫaldwn Wālšryf Aʿly Muḥmmad Ālğrğāny. https://Ketabonline.Com/Ar/Books

Ṣālḥ Ṭāhir Mašhwš ،Qirāʾat Fy Kitāb Iʿlm Ālʿmrān Ālḫldwny ،Qrāʾat Wmrāğʿāt Islāmyat Ālmʿrfat*2014* ،M.

"Tarbyat Ālmalkat Āllsānyat Iʿnd Ibn ḫuldwn" ،Āl-Muntady Āl-Islāmy Ālʿālmy Liltarbyat ،Našhr Bitāryḫ 15/ 11/ 2018m ،Mn Mwqʿ http://Montdatarbawy.Com/Show/122658